الباب الرابع

سمات الجمال وأحوال المحبين

- الحسن من منظور عربى .
- رقة التشبيب .
- قولهم فى الغزل .
- التزين والتطيب .
- ما يكتب على العصائب وغيرها .
- ما يعترى المحبين من نحول وشحوب .
- عند الوداع .

بين يدى هذا الباب

تُرى لو سئلت عن أحسن النساء – فى عصرنا – فماذا يكون جوابك ؟ .

وهل « مقاييس العصر » تلتقى مع تلك المقاييس التى تحدث عنها ابن عبد ربه ؟ .

وهل ترانا نجد فى إجابات الآخرين قدرا مشتركا تلتقى كلمتنا عليه ، إن وجهنا إليهم هذا السؤال ؟ .

وهل الحب أعمى ؟ والأمر قسمة ونصيب !! .

وإلى أى مدى تختلف وجهات النظر فى صفات الحسن ، وهل حقا للناس فيما يعشقون مذاهب ؟ .

● قيل لأعرابى : أتحسن صفة النساء ؟ قال :

إذا عذب ثناياها ، وسهل خداها ، ونهد ثدياها ، وفعم ساعداها والتف فخذاها ، وعرض وركاها ، وجدل ساقاها ، فتلك هم النفس ومناها .

● وقالوا : أحسن النساء : الرقيقة البشرة ، النقية اللون ، يضرب لونها بالغَداة إلى الحمرة ، وبالعَشِيّ إلى الصفرة ! .

ويحدثنا ابن عبد ربه عن صفات الحسن التى هام بها الشعراء والمحبون وملئوا الدنيا تشبيبا وغزلا رقيقا .. وتتراءى لنا كما عبروا عنها مجتمعة فى محبوبتهم فإذا هى : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ! .

ثم يحدثنا عن التزين والتطيب .. وحب الزينة – كما يقول الأستاذ العقاد فى كتابه : « المرأة فى القرآن » ... أصل من أصول الرياء يشاركها فيه الرجل فى ظاهر الأمر ، ولكنه يخصها فى جانب غير مشترك بينها وبين زينة الرجولة ؛ فإن الرجل يتزين ليعزز إرادته .

وإنما تتزين المرأة لتعزز إرادة غيرها فى طلبها ! .

وليست الزينة التى تراد للإغراء بالقبول ؛ كالزينة التى تراد للإغراء بالطلب !؛ فإن الفرق بينهما هو الفرق بين :

الإرادة والانقياد ، وبين من يريد ، ومن ينتظر أن يُراد !! ولا يفوت ابن عبد ربه أن يحدثنا عما يكتب على العصائب من شعارات الحب والهيام .. وما يعترى المحبين من شحوب ونحول . .

وأخيرا يعرض علينا لحظات الوداع والفراق وما يصحبها من :

عبرات تبعث الأسى ... وأنفاس حارة ، ودموع دامية وخوف ألَّا يكون لقاء ... حيث يفتضح العاشق فى يوم الرحيل !! ... عفوا إن كنت أطلت وأرجو ألا أكون قد أثقلت ! ولا أقول وداعا ، ولكن إلى لقاء فى الباب القادم بعد أن تستمتع بهذا الباب ! .

★ ★ ★

صفات الحُسْـــن

الحسن كما يرونه :

أهو حمرة فى صفرة ؟

عن أبى الحسن المدائنى قال :

الحسن أحمر ، وقد تضرب فيـه الصـفرة مع طول المكث فى الكن (١) ، والتضمخ (٢) . بالطيب ، كما تضرب بيضة الإدحىّ (٣) ، واللؤلؤة المكنونة .

وقد شبه الله عز وجل فى كتابه فقال :

﴿ كأنهن بَيْضٌ مكنون ﴾ (٤) .

وقال الشاعر :

كأن بيضَ نعامٍ فى ملاحفِها إذا اجتلاهُن قَيظُ ليلةٍ ومد (٥)

لونُ وردٍ كسا البياضَ احمرارا

وقال آخر :

مروزى (٦) الأديم تغمره الصفرة حيناً لا يستحق اصفرارا
وجرى من دم الطبيعة فيه لون وردٍ كسا البياضَ احمرارا

---

(١) الكن : البيت وجمعه أكنان وأكنة ، والكن وقاء كل شيء وستره .
(٢) ضَمَّخَ جسده بالطيب لطخه به .
(٣) الأدحى : مبيض النعام فى الرمل .
(٤) الصافات : ٤٩ .
(٥) الوَمَد : محركة الحر الشديد مع سكون الريح أوندى يجيء فى صميم الحر من قبل البحر ويقال : ليلةٌ وَمِدٌ ، وومدةٌ . أو شدةُ حر الليل ، مع وجود رطوبة الجو .
(٦) ثياب مروزية : نسبة إلى مرو من بلاد فارس .

لقد أصبحت جميلا !

وقالت امرأة خالد بن صفوان [1] له :

لقد أصبحت جميلا ! فقال لها : وما رأيت من جمالى وما فِىَّ رداءُ الحسن ولا عموده ، ولا بُرْنسه ؟ قالت : وكيف ذلك ؟ قال :

عمود الحسن : الشّطَاط [2] ، ورداؤه : البياض ، وبرنسه : سواد الشعر .

رقة البشرة وصفاء الأديم [3] :

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة ، الصافى الأديم ، إذا خجل يحمرُّ ، وإذا فَرِق يصفر .

ومنه قولهم : ديباج الوجه – يريدون تلونه .

حمرة خلطت صفرة فى بياض :

وقال عدى بن زيد يصف لون الوجه :

حمرة خلطت صفرة فى بياض مثل ما حاك حائك ديباجا [5]

الحسن ... يرون فيه ألوان الشمس بالضحى ... والعرار بالعشى ... والفضة والذهب والدر .. والعقيق ... والورد ! :

---

(١) خالد بن صفوان : من فصحاء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبد العزيز ، وهشام ابن عبد الملك وله معهما أخبار . وجاء فى كتاب الأعلام للزركلى : إنه لم يتزوج .

(٢) الشِّطَاط ؛ كسَحاب وكتاب : الطول وحسن القوام واعتداله .

(٣) الأديم : الجلد .

(٤) الفرق : الخوف .

(٥) الديباج : حرير سميك .

وقال : إن الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس ، فهى بالضحى بيضاء ، وبالعشى صفراء .

وقال الشاعر :

بيضاء ضَحْوتُها وصفـــــــــــــراءُ العشية كالعـــرارة (١)

وقال ذو الرمة :

بيضاء صفراء قد تنازعهـــا لونان من فضـــة ومن ذهـــب

ومن قولنا :

بيضاء يحمرُّ خداها إذا خجلت كما جرى ذهب فى صفحتى ورق (٢)

ومن قولنا :

كم شادن (٣) لطف الحياء بوجهه فأصاره ورداً على وجناتـــه

ومن قولنا :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثلـه دُراً يعود من الحياء عقيقا (٤)

ومن قولنا .

عقائل كالآرام (٥) أما وجوهها فـدر ، ولكن الخدود عقيـــق

★ ★ ★

---

(١) العرار : بَهارُ البَرّ . واحدته عَرَارة ، وزهره أصفر طيب الرائحة ويقول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(٢) الوَرِق : الفضة .

(٣) شدن الغزال فهو شادن إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه ويشبهون الفتاة بالغزال .

(٤) العقيق : هناك أنواع من العقيق كثيرة فى ألوان بيضاء وسمراء وحمراء وزرقاء وهناك أنوع تصبغ حسب الطلب ، وهو من الأحجار الكريمة وكان المعروف لدى الشعراء الأحمر فراحوا يتغنون بجماله ، والدر أبيض .

(٥) العقيلة من النساء الكريمة المخدرة (المصونة فى خِدْرها) والآرام جمع رئم : الظبى الأبيض .

الجميلة من بعيد ... المليحة من قريب :

ومن قولهم فى الجارية :

جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ؛ فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة على بعد ، فإذا دنت لم تكن كذلك .

والمليحة : التى كلما كررت فيها بصرك زادتك حسنا .

وقال بعضهم :

الجميلة : السمينة من الجميل ، وهو الشحم .

والمليحة : أيضا من الملحة ، وهو البياض .

والصبيحة : مثل ذلك ؛ يشبهونها بالصبح فى بياضه .

★ ★ ★

قولهم فى رقة التشبيب (١)

● ومن الشعر المطبوع الذى يجرى مع النفس رقة ، ويؤدى عن الضمير إبانة ، مثل قول العباس بن الأحنف :

وليلة ما مثلها ليلةٌ ... صاحبها بالسعد مفجوع
ليلة جئناها على موعدٍ ... نسرى وداعى الشوق متبوع
لما خبت نيرانها وانكفأ الـ ... سامرُ عنها وهو مصروع(٢)

---

(١) لا نكاد نجد فرقا فى الاستعمال اللغوى بين كلمات : الغزل ، والتشبيب والنسيب فاللغويون يعرفون إحدى هذه الكلمات بالأخرى ، ومغازلة النساء محادثتهن ، وذكر محاسن المرأة فى الشعر : وإذا كان الغزل فى أصله حديثا إلى النساء فإن النسيب أن ينسب الشاعر إلى نفسه هوى مبرحا وحبا عنيفا وأن يتحدث عما يُنْسَبُ إلى المرأة من ديار وآثار ، أما التشبيب فهو إبراز الصفات وتجليتها للعيون

(٢) انكفأ السامر : انصرف .

قامت تثنى وهى مرعوبةٌ ... تَوَدُّ أن الشَّمْلَ مجموع
حتى إذا ما حاولت خطوةً ... والصدر بالأرداف مدفوع(١)
بكى وشاحاها على متنها ... وإنما أبكاهما الجوع (٢)
فانتبه الهادون من أهلها ... وصار للموعد مرجوع
ياذا الذى نمَّ علينا لقد ... قلت ومنك القول مسموع
لا تشغلينى أبدا بعدها ... إلا ونمامك منـزوع
مابال خلخا لك ذا خرسةٍ ... لسان خلخالك مقطوع
عاذلتى فى حبها أقصرِى ... هذا لعمرى عنك موضوع

● وفى معناه لبشار بن برد

سيدى لا تأتِ فى قمر ... لحديث وارقب الدُّرَعـــا (٣)
وتـوقّ الطيـــب ليلتنـــا ... إنــه واشٍ إذا سطعـــا

● وله أيضا

يقولان لو عزيت قلبك لارْعَوَى (٤) ... فقلت وهل للعاشقين قلوب ؟!

● كثَيِّرٌ وشعر لجميل :

الأصمعى قال : سمع كُثيِّرٌ عزَّة منشداً ينشد شعر جميل بن معمر الذى

● يقول فيه :

ما أنت والوعد الذى تعديننى ... إلا كبرق سحابةٍ لم تُمطِر
تقضى الديون ولست تقضى عاجلا ... هذا الغريم ولست فيه بمُعسر
ياليتنى ألقى المنية بغتـةً ... إن كان يوم لقائكم لم يُقْدر (٥)

---

(١) والصدر مدفوع بالأرداف والمراد بها العجز .
(٢) المتن : الظهر .
(٣) ليالٍ دُرَع : ثلاث ليل تلى البيض لاسْوِدَادِ أوائلها ، وليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح .
(٤) ارعوى عن القبيح : ارتدع وأقلع عما كان فيه .
(٥) المنية : الموت .

يهواك ماعشت الفؤاد وإن أمت يَتبع صداى صداك بين الأقبر [1]

فقال كثير :

هذا والله الشعر المطبوع [2] ، ما قال أحد مثل جميل ، وما كنت إلا راويةً لجميل [3] ، ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه .

الفرزدق وشعر لابن أبى ربيعة :

وسمع الفرزدق رجلا ينشد شعر عمر بن أبى ربيعة الذى يقول فيه

وقالت وأَرْخت جانب الستر إنما معى فتحدث غير ذى رِقبةٍ أهلى
فقلت لها : مالى لهم من تَرَقُّبٍ ولكن سِرِّى ليس يحمله مثلى

فقال الفرزدق :

هذا والله الذى أرادت الشعراء أن تقوله فأخطأته وبكت على الطلول [4] .

وإنما عارض بهذا الشعر جميلا فى شعره الذى يقول فيه :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟

فلم يصنع عمر مع جميل شيئا ! .

● ولبشار بن بُرد :

ويح قلبى مابه من حبها ضاق من كتمانه حتى علن
لا تلُم فيها وحَسِّن حبها كل ما مرَّت به العين حسن

---

(١) الأقبُر : جمع قبر . والصدى رجع الصوت . ويقصد أن روحه سوف تتابع روحها ، وتظل متعلقة بها .

(٢) الشعر المطبوع : غير المتكلف الصادر عن طبيعة الإنسان واتسم بالصدق .

(٣) الراوية : كان لكل شاعر راوية يحفظ شعره ويردده ويرويه وينشره .

(٤) الطلول : جمع طلل . ما بقى من آثار ديار المحبوبة . حيث كان اللقاء والأنس .

● وله :

كأنّها روضـــــة منـــورة تنفست فى أواخر الســـحر

ولبشار ؛ وهو أشعر بيت قاله المولدون (١) فى الغزل :

أنا والله أشتهى سحر عينيـ ـك وأخشى مصارع العشـــاق

● وله :

حوراء إن نظرت إليـــــ ـك سقتك بالعينين خمـرا

وكـــأنها برد الشـــــــرا ب صفا ووافق منك فطِرا

● ولأبى نواس :

وذات خدٍّ موردْ قوهيـــة المتجـــرد (٢)

تأمل العين منهـا محاسنا ليس تنفد

فبعضه فى انتهـــاء وبـعضه يتولـــــد

وكلما عدت فيـــه يكون فى العود أحمد

● وله أيضا :

ضعيفة كر الطرف (٣) تحسب أنها قريبةُ عهدٍ فى الإفاقةِ من سُقم

★ ★ ★

---

(١) المولَّدون : رجلٌ مُوَلَّد عربى غير محض ، وكلام مُوَلَّد كذلك . والمَوَلَّد المحدث من كل شىء ، والمولدون من الشعراء أو الأدباء سموا بذلك لحدوثهم ، وذلك عندما اختلط العرب بغيرهم . نشأ جيل المولدين .

(٢) القوهية : ثياب بيضاء ، ويقصد بها بياض جسمها .

(٣) الطرف : العين ، وكر الطرف نظراته مرة بعد أخرى ، وفى القرآن : ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾ [الملك : ٤] . وفى الشطر الثانى حسن تعليل لما يبدو من ضعف نظراتها ؛ فكأنما هى قريبة عهد فى الإفاقة من سقم ومرض - إنه الحب .

قولهم فى الغزل

● **قال رجل لمحمد بن سيرين :**

ما تقول فى الغزل الرقيق يُنشده الإنسان فى المسجد ؟ .

فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة ، وتقدم إلى المحراب ، فالتفت إليه ، فقال :

وتبْردُ بردَ رِداءِ الـــعَرو سِ فى الصيف رقرقت فيه العبيرا
وتسخنُ ليلـــة لا يستطيـع نباحا بها الكلبُ إلا هَرِيراً (١)

ثم قال : الله أكبر .

● **الحجاج وأبو هريرة :**

وقال الحجاج :

دخلت المدينة فقصدت إلى مسجد النبى ﷺ فإذا بأبى هريرة قد أكبَّ الناس عليه يسألونه ، فقلت : هكذا ! افرجوا لى عن وجهه . فأفرج لى عنه . فقال له : إنى إنما أقول هذا :

طاف الخيالان فهاجا سقما خَيالُ أرْوَى وخيالٌ تكتما
تُريك وجهاً ضاحكا ومعصما وساعِداً عَبْلاً (٢) وكفا أدرما

فما تقول فيه ؟ قال : لقد كان رسول الله ﷺ يُنشدُ (٣) مثل هذا فى المسجد فلا ينكره .

---

(١) العبير : أخلاط من الطيب . والهرير : صوت الكلب أقل وأخفض من النباح لقلة صبره على البرد ويقصد : أنها باردة الصيف . سخنة المشتى .

(٢) عبلاً : ضخما ممتلئا ، وكفا أدرما : ناعما أملس ، لينا واراه اللحم .

(٣) ينشد : أى يقال ويلقى فى حضرته مثل هذا الشعر فلا ينكره كما سيأتى فى أبيات الغزل التى ألقاها كعب بن زهير فى المسجد بين يديه ، وخلع بردته عليه ، وعفا عنه .

كعب بن زهير بين يدى النبى ★

ودخل كعبُ بن زهير على النبى ﷺ فمثل بين يديه وأنشده :

بانت سُعاد فقلبى اليوم متبولُ ... متيمٌ إثرها لم يُفد مكبولُ (١)
وما سُعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلاأغنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مكحولُ (٢)
هيفاءُ مُقْبلةً عجزاءُ مُدبِرةً ... لا يُشتكى قصرٌ منها ولاطُولُ (٣)
فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها ... كما تَلَوَّنُ فى أثوابِها الغُولُ (٤)

★ كان واحدا من الشعراء الذين هجوا الرسول ﷺ ولكنه جاء تائبا فقبل الرسول توبته وأهداه بردته .

(١) بانت : فارقت فراقا بعيدا . وسعاد : اسم امرأة . وقيل : هى امرأته وابنة عمه ، وقد خصها بالذكر لطول غيبته عنها ؛ لهروبه من النبى ﷺ بعد أن هجاه . ومتبول : أسقمه الحب وأضناه . ومتيم : ذليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر . ومكبول : مقيد . وهو يريد : أن محبوبته فارقته ، فصار قلبه فى غاية الضنى والسقم والذل والأسر ، لا يجد من قيده فكاكا ، ولا يستطيع من سجنه خلاصا .

(٢) الأغن : الظبى الصغير الذى فى صوته غُنَّة ، وهى صوت يخرج من الخياشيم . والطرف النظر ، وغضيض الطرف : فاتره . ومكحول من الكحل (بفتح الحاء) وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال . شبه محبوبته وقت الفراق بالظبى الموصوف بغنة الصوت ، وغض البصر ، والكحل . وهى من صفات الجمال .

(٣) هيفاء : من الهيف (بتحريك الياء) وهو ضمور البطن ودقة الخاصرة . ومقبلة : حال وعجزاء : أى كبيرة العجز وهو الردف . إنه يصفها فى حالى إقبالها وإدبارها . لا يشتكى الرائى عند رؤيتها قصرا فيها . وهو يريد : أن محبوبته يحسن منظرها فى كل حال ، فإذا أقبلت فهى هيفاء ، وإذا أدبرت فهى عجزاء ، وهى متوسطة بين الطول والقصر .

(٤) الغول : ساحرة الجن فى زعمهم . يزعمون أن الغول تُرَى فى الصحراء بألوان شتى ، فتأخذ جانبا عن الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك . وهو يريد أن هذه المحبوبة لا تدوم على حال تكون عليها ، بل تتغير من حال إلى حال ، فتتلون بألوان شتى ، وترى فى صور مختلفة كما تتلون الغول فى أثوابها بألوان كثيرة .

ولا تمسكُ بالعهدِ الذى وعدت ... إلا كما يُمسكُ الماءَ الغرابيلُ (١)
كانت مواعيدُ عُرقُوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ (٢)
فلا يَغُرَّنْكَ ما منَّتْ وما وَعدَتْ ... إنَّ الأمانِيَّ والأحلامَ تَضْلِيلُ (٣)
....
....

ثم خرج من هذا إلى مدح الرسول ﷺ فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألفا .

● ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم ... ولامك أقوامٌ ولومُهُمُ ظُلْم
ونَمَّ عليك الكاشحون (٤)وقبل ذا ... عليك الهوى قد نم لو نفع النمُّ
فيا من لنفسٍ لا تموت فينقضى ... عَنَاها ، ولا تحيا حياةً لها طعمُ
تجنبت إتيان الحبيب تأثُّما (٥) ... ألا إن هجران الحبيب هو الإثم

● ومن شعر عروة بن أذينة ، وهو من فقهاء المدينة وعُبادها ، وكان من أرق الناس تشبيبا :

قالت وأبثثتها وجدى (٦) وبحت به ... قد كُنت عندى تُحبُّ الستر فاستترِ

---

(١) تَمسُّك : أى تتَمَسَّكُ . يشبه تمسكها بالعهد بإمساك الغرابيل للماء . مبالغة فى النكث والنقض وعدم الوفاء بالعهد ؛ لأن الماء بمجرد وضعه فى الغربال يسقط منه .

(٢) كانت : صارت . وعُرقوب (بضم العين) رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ، فضرب به المثل فى الخلف . والأباطيل جمع باطل .

(٣) ما منت : ما مَنَّتْك إياه وحملتك على تمنيه أو ما كذبت عليك فيه من الوصل ، وما وعدتك به من ترك الهجر ؛ فإن الأمانى التى يتمناها الإنسان والأحلام التى يراها فى المنام سبب فى الضلال ، وضياع الزمان .

(٤) الكاشحون : جمع كاشح وهو الذى يضمر العداوة .

(٥) تأثما : تحرجا .

(٦) وجدى : حبى وفى رواية شجوى .

ألستَ تُبْصِر مَنْ حولى ؟ فقلت لها غطى هواك وما أُلْقى على بصرى (١)

● **وقد وقفت عليه امرأة فقالت :**

أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل :

إذا وجدتُ أُوار (٢) الحب فى كبدى غدوتُ نحو سقاءِ الماءِ أبترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنارٍ على الأحشاء تتقدُ ؟

والله ما قال هذا رجل صالح ؛ .

وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله ؛ بل لم يكن مرائيا ، ولكنه كان مصدوراً فنفث (٣) .

● ومن قول عبد الله بن المبارك (٤) ، وكان فقيها ناسكا شاعرا رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سألت جارتها وتعرت ذات يوم تبترد (٥)
أكما ينعتُنى تُبْصِرْنَنِى عَمْرَ كُنَّ الله أم لا يقتصد (٦)
فتضاحكن وقد قلن لها حسنٌ فى كلِّ عينٍ من تَود (٧)
حسداً حمّلْنَه من شأنها وقديماً كان فى الحبِّ الحسد

● وقال شريح القاضى وكان من جلة التابعين والعلماء المتقدمين ، استقضاه (٨) على رحمه الله ومعاوية ، وكان يزوج امرأة من بنى تميم تسمى زينب

---

(١) غطى هواك ... أى ستر حبى لك كل شىء عنى فلا أرى غيرك .
(٢) أُوَارَ الحب : حره ولهيبه ! .
(٣) يقصد أنه أخرج ما كان يعانى منه فى صدره ، وصرح بما يعانيه .
(٤) الأبيات للشاعر القرشى عمر بن أبى ربيعة زعيم الغَزِلين وقد مات سنة ٩٣ هـ المنتخب من أداب العرب وليس كما يقول صاحب العقد وأول القصيدة :
ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما نجد
(٥) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها .
(٦) ينعتنى : يصفنى ، وعمرَكُنَّ اللهَ : أى أذكركن الله . يقتصد : يعتدل فلا يبالغ .
(٧) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .
(٨) استقضاه : ولاه القضاء .

فنقم عليها فضربها ، ثم ندم فقال :

رأيت رجالا يضربون نساءهم ... فشُلَّت يمينى يوم أضرب زينبا
أأضْرِبُها من غير ذنبٍ أتَتْ به ... فما العدلُ منى ضربُ من ليس أذنبا؟
فزينب شمسُ والملوك كواكبٌ ... إذا برزت لم تُبدِ منهن كوكبا (١)

* * *

لبعض الأعراب :

● ذكر أعرابى امرأة فقال :

لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفى كل عضو منها شمس طالعة (٢)! .

● وذكر أعرابى امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ماتم منها ، وما نقص منه ! .

● وقال أعرابى فى امرأة ودعها للمسير : والله ما رأيت دمعة ترقرق من عين بإثمد (٣) على ديباجة خد ، أحسن من عبرة أمطرتها عينها ، فأعشب لها قلبى ! .

● وقال : سمعت أعرابيا يقول : إن لى قلبا مروعاً ، وعينا دموعاً ؛ فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟!!

---

(١) هذا البيت مأخوذ من قول النابغة الذبيانى للنعمان فى الاعتذار والمدح

فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طَلَعتْ لم يبدُ منهن كوكب

(٢) مشرقة ومتألقة .

(٣) الإثمد : عنصر معدنى يكتمل به (الكحل) .

● وقال أعرابى : دخلت البصرة فرأيت أعينا دعجاً [1] ، وحواجب زجاً [2] ، يسحبن الثياب ، ويسلبن الألباب .

● وذكر أعرابى امرأة فقال :

خلوت بها ليلة يزينها القمر ، فلما غاب أرتنيه . قلت له :

فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ما أحل الله مما حرم : الإشارة بغير باس والتقرب من غير مساس .

● وذكر أعرابى امرأة فقال : هى أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .

● قال : وسمعت أعرابيا يقول :

ما أشد جولة الرأى عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا [3] ، ولقد تقطعت كبدى للعاشقين ، لوم العاذلين قرطة [4] فى آذانهم ، ولوعات الحب جبرات على أبدانهم ، مع دموع على المغانى ، كغروب السوانى [5] .

● وذكر أعرابى امرأة فقال :

لقد نعمت عين نظرت إليها ، وشفى قلب تضجع عليها ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فيرحب بى طرفها [6] ، ويتجهمنى لسانُها . قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ .

---

(١) الدُّعج : جمع دعجاء ، وهى شديدة السواد مع سعتها .

(٢) الزُّج : الدقيقة ، ويقول الشاعر : « وزججن الحواجب والعيونا » والزَّجاء : الدقيقة الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما خُطّا بقلم .

(٣) الصَّبَا : الشوق والعشق والهيام فى الحب .

(٤) ما يعلق فى شحمة الأذن جمع قُرط .

(٥) المغانى جمع مغنى منزل المحبين حيث يجد الإنسان المحب ما يغنيه عن كل الدنيا والغَروب : جمع غرْب وهو الدلو ، والسوانى جمع سانية وهى ما سقى عليه من بعير وغيره .

(٦) كما يقول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة محزون ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال : مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

أو كما يقول آخر : لسانى عليه ... وقلبى معه

قال : إنى ذاكر لها وبينى وبينها عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ريح المسك .

● وذكر أعرابى نسوة خرجن متنزهات ، فقال :

وجوه كالدنانير (١) ، وأعناق كأعناق اليعافير (٢) ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول (٣) تخفق ، وأوشحة (٤) تعلق ، وكم أسير لهن ؟ وكم مطلق ؟ .

● قال : وسمعت أعرابيا يقول : اتبعت فلانة إلى طرابلس الشام ، والحريص جاحد ، والمضل ناشد ، ولو خضت إليها النار ما ألمتها .

● قال :

وسمعت أعرابيا يقول :

الهوى هوان ، ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف من يقول : من أبكته المنازل والطلول .

● وقال أعرابى :

كنت فى الشباب أعض على الملام ، عَضَّ الجواد على اللجام ، حتى أخذ الشيب بعنان شبابى .

● وذكر أعرابى امرأة فقال :

إن لسانى لذكرها لذلول ، وإن حبها لقلبى لقتول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

---

(١) جمع دينار ، ويشبهها بها فى الاستدارة واللمعان .

(٢) اليعافير : جمع يَعْفُور ، وهو الظبى بلون التراب أو عام . وقد تضم الياء .

(٣) الحجول : جمع حجل . الخَلْخال . وفى القرآن : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ .

(٤) الأوشحة : جمع وشاح . أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها .

● ووصف أعرابى نساء ببلاغة وجمال فقال :

كلامهن أقتل من النبل ، وأوقع بالقلب من الوبل بالمحل [1] ، فروعهن [2] أحسن من فروع النخل .

● ونظر أعرابى إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذلفاء ، ومعها صبى يبكى ، فكلما بكى قبلته ، فأنشأ يقول :

ياليتنى كنت صبيا مرضعا تحملنى الذلفاء حولا أكتعا [3]
إذا بكيت قبلتنى أربعـــا فلا أزال الدهر أبكى أجمعا

● العتبى قال : وصف أعرابى امرأة حسناء فقال :

تبسم [4] عن خمش اللثاث ، كأقاحى النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقى من راقه .

● وقال العتبى : خرجت ليلة حين انحدرت النجوم ، وشالت أرجلها ، فمازلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر فإذا بجارية كأنها علم ، فجعلت أغازلها ، فقالت :

ياهذا أمالك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله ما يرانى إلا الكواكب ، قالت : فأين مكوكبها ؟! .

● ذكر أعرابى امرأة فقال :

هى السقم الذى لابرء معه ، والبرء الذى لا سقم معه وهى أقرب من الحشا ، وأبعد من السما .

---

(١) الوبل بالمحل : المطر بالأرض الجدباء.

(٢) يقصد الضفائر .

(٣) كاملا .

(٤) تبسَّمُ أى تتبسم فحذفت تاؤه تخفيفا على المتكلم . واللثاث جمع لثة . والأقاحى جمع أقحوان : نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان واحدته أقحوانة .

● وقال أعرابى – وقد نظر إلى جارية بالبصرة فى مأتم – :

بصريةٌ لم تبصر العين مثلها غدت ببياض فى ثياب سواد
غدوت إلى الصحراء تبكين هالكا فأهلكت حيا، كنت أشأم عاد [1]!
فيارب خذ لى رحمةً من فؤادها وحل بين عينيها وبين فؤادى

● وقال فى جارية ودعها :

مالت تودعنى والدمعُ يغلبها كما يميلُ نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهى باكية ياليت معرفتى إياك لم تكن

● العتبى قال : أنشد أعرابى :

يازين من ولدت حواء من ولد لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب
أنت التى من أراه الله صورتها نال الخلود فلم يهرم ولم يشب

● وأنشد الرياشى لأعرابى :

من دمنة خلقت عيناك فى هتن فما يرد البُكا جهلاً من الدمن [2]
ماكنت للقلب إلا فتنةً عرضت ياحبذا أنت من معروضة الفتن
تُسيء سلمى وأُجزيها به حسناً فمن سواى يجازى السوء بالحسن ؟

● قال : وسمعت أعرابيا يصف امرأة فقال :

بيضاء جعدة ، لا يمس الثوب منها إلا مشاشة [3] كتفيها ، وحلمتى ثدييها ، ورضفتى ركبتيها ، ورانفتى أليتيها ، وأنشد :

---

(١) أشأم عاد : الأشأم الذى يأتى بالشؤم . وأشأم عاد كان سببا فى هلاك قومه عاد ، وشؤمهم .

(٢) الدمنة بقية الماء فى الحوض . وعين هتون : تصب الدمع .

(٣) المشاشة رأس العظم اللين .

(٤) الرضفة عظام فى الركبة كالأصابع المضمومة .

أبت الروادفُ والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدةً وهجنَ غيورا

● وقال أعرابى :

ليت فلانة حظى من أملى ، ولرب يوم سرته إليها حتى قبض الليل بصرى دونها ، وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفى من الظمأ .

● وذكر أعرابى امرأة فقال :

تلك شمس باهت الأرض شمس سمائها ، وليس لى شفيع فى اقتضائها [1] ، وإن نفسى لكتوم لدائها ، ولكن تفيض عند امتلائها .

أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

وياشمس أرضيها التى تم نورها فباهت بها الأرضون شمس سمائها
شكوت وما الشكوى لمثلى عادة ولكن تفيض النفس عند امتلائها

● وقيل لأعرابى :

ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال :

نعم . كان الحب فى القلب ، فانتقل إلى المعدة ، إن أطعمته شيئا أحبها وإلا فلا .

وكان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حولا [2] ، ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا ، وتناشدا الأشعار ، وإنه ليوم يشير إليها وتشير إليه ، ويعدها وتعده ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبا ، ولم ينشدا شعرا ، ولكن يعاشرها ويطلب الولد .

---

(١) اقتضائها : طلبها .

(٢) يظل العام كله يطوف ببيتها ، وكان هذا يكفيه منها ويفرحه أن يرى من يراها وكذلك شأن المحبين فهذا جميل يقول :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى لو أبصره الواشى لقَرَّتْ بلابله
بالمنى ، وبألا أستطيع وبالأمل المرجو خاب آمله

● وقال أعرابى :

شكوت ! فقالت ، كل هذا تبرما ... بحبى أراح الله قلبك من حبى
فلما كتمت الحب قالت : لشدما ... صبرت ! وماهذا بفعل شجى القلب
وأدنو فتقصينى ، فأبعد طالبا ... رضاها ، فتعتد التباعد من ذنبى
فشكواى تؤذيها ، وصبرى يسوؤها ... وتجزع من بعدى ، وتنفر من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعلمونها ... أشيروا بها واستوجبوا [1] الشكر من ربى

التزين والتطيب

● دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين والتطيب فوجده قاعداً على حشايا مصبغة ، وجارية تغلله بالغالية [2] فقال له .

يرحمك الله ، جئت أسألك عن شيء فوجدتك فيه ! .

قال : على هكذا أدركت الناس .

● وفى حديث : أن النبى ﷺ قال : إياكم والشعث ، حتى لو لم يجد أحدكم إلا زيتونة فليعصرها وليدهِن بها .

● وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة :

« مالى أراك شعثاء ، مرهاء ، سلتاء ؟ » .

قالت : يارسول الله أولَسْنا من العرب ؟

قال : « بلى ، ربما أُنسيت العربُ الكلمة ، فيعلمنيها جبريل » .

الشعثاء : التى لا تدهن .

والمرهاء : التى لا تكتحل .

---

(١) ولكم الشكر جزاء من ربكم على حسن صنيعكم .

(٢) الغالية : أخلاط من الطيب ، وتغليت بالغالية وتغللت إذا تطيبت بها . والحشايا : جمع حشية وهى ما يجلس عليه .

والسلتاء : التى لا تختضب .

● وقال ﷺ :

« ما نلتُ من دنياكم إلا النساء والطيب » .

● وروى مالك عن يحيى بن سعيد ، أن أبا قتادة الأنصارى قال يارسول الله ، إن لى جمة (١) ، أفَرجِّلُها يارسول الله ؟ .

قال : « نعم وأكرمها » .

قال : فكان أبو قتادة ربما دهنها فى اليوم مرتين .

★ ★ ★

---

(١) الجُمَّةُ من الإنسان : مجتمع شعر ناصيته . يقال : هى التى تبلغ المنكبين . والجمم : جمع . مثل غرفة وغرف .

ما يكتب على العصائب وغيرها

ظلمتنى فى الحب ياظالم !

● أبو الحسن قال : دخلت على هارون الرشيد ، وعلى رأسه جوار كالتماثيل ، فرأيت عصابة منظمة بالدر والياقوت مكتوبا عليها بصفائح الذهب :

ظلمتنى فى الحب يا ظالـــم والله فيمـــا بيننـــا حاكـــم

● قال : ورأيت على عصابة أخرى :

وضع الخد للهوى عزُّ

● قال : ورأيت فى صدر أخرى هلالا مكتوبا عليه :

أفلَتُّ من حور الجنـــان وخلقـــت فتنةَ من يرانـــى

● قال إسحق بن إبراهيم :

دخلت على الأمين محمد بن زبيدة ، وعلى رأسه وصائف فى قراطق [1] مفروجة بيد وصيفة منهن مروحة مكتوب عليها :

بى طاب العيش فى الصـ ـف وبى طاب الســرور
ممسكى ينفى أذى الحـ ـر إذا اشـتد الحرور [2]
الندى والجود فى وجـ ـه أمين الله نور [3]
ملك أسـلمه الشـ ـبهُ وأخلاه النظير

● وفى عصابة :

ألا بالله قولـوا يا رجـال أشـمسٌ فى العصابة أم هلال

---

(١) قراطق : جمع قرطق وهو القباء أشبه بـ (الروب) . والوصائف جمع وصيفة .
(٢) الحرور : حر الشمس .
(٣) الندى : الكرم والعطاء .

● فى أخرى :

أتهوون الحياة بلا جنون فكفوا عن ملاحظة العيون

● وكتبت ورد جارية الماهانى على عصابتها ، وكانت تجيد الغناء مع فصاحتها وبراعتها :

تمت وتم الحسن فى وجهها فكل شيء ما سواها محال
للناس فى الشهر هلال ولى فى وجهها فى كل يوم هلال

● وكتبت فى عصابتها بيتين من شعر الحسن بن هانى وهما :

يا راميا ليس يدرى ما الذى فعلا عليك عقلى فإن السهم قد قتلا (١)
أجريته فى مجارى الروح من بدنى فالنفس فى تعب والقلب قد شغلا

● قال على بن الجهم :

خرجت علينا عالج جارية خالصة كأنها خوط بانٍ وهى تميس فى رقة ، وعلى طُرَّتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مجان أهل بغداد مع علمها بالغناء :

ياهلالا من القصور تجلى صام طرفى لمقلتيك وصلى
لست أدرى ليلى أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلى (٢)
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنت محلا

● قال : وخرجت إلينا منال وعليها درع خام على جانبه الأيمن مكتوب :

كتب الطرف فى فؤادى كتابا هو بالشوق والهوى مختوم

وعلى الأيسر مكتوب :

كأن طرفى على فؤادى بلاء إن طرفى على فؤادى مشوم

---

(١) العقل : الدية .

(٢) يتقلى : يكره النوم ولا يطيقه ، ويتقلب فى فراشه .

● قال : وكان على عصابة ظبى جارية سعيد الفارسى مكتوب بالذهب :

العين قارئـــة لما كتبـــت فى وجنتـــى أنامـــل الشجن [1]

وقال : وحدثنى الحسن بن وهب قال : كتبت شعب على قلنسوة جاريتها شكل :

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه إلا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وإننى بك واثق ألا ينال سواى منك نصيبـا

● وكتب شفيع خادم المتوكل على عاتق قبائه الأيمن :

بدر على غصن نضير شَرِقُ الترائب بالعبير [2]

وعلى عاتقه الأيسر :

خطت صحيفة وجهه فى صفحة القمر المنير

● وكتبت وصيف جارية الطائى على عصابتها :

فمازال يشكو الحب حتى حسبته تنفس فى أحشائه وتكلمـا
فأبكى لديه رحمة لبكائـه إذا ما بكى دمعا بكيت له دما

● وكان على عصابة مزاج وهى من مواجن أهل بغداد وفتاكها :

قالوا عليك دروع الصبر قلت لهم هيهات إن سبيل الصبر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

● وكتبت عنان جارية الناطفى على عصابتها :

الكفر والسحر فى عينى إذا نظرت فاغرب بعينيك يا مغرور عن عينى
فإن لى سيف لحظ لست أغمده من صنعة الله لا من صنعة القَيْنِ

---

(١) الشجن : الحزن والهم .

(٢) يفوح العبير من ترائبه . والترائب جمع تريبة وهى العظمة من الصدر . أعلاه والعبير : أخلاط من الطيب .

● وكتبت حدائق فى كفها بالحناء :

ليس حُسن الخضاب زين كفى حُسن كفى زينٌ لكل خضاب

● قال وخرجت علينا جارية حمدان ، وقد تقلدت سيفا محلى ، وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها :

تأمل حسن جاريـة يحار بوصفها البصر
مذكـرةٍ مؤنثـــةٍ فهى أنثى وهى ذكـر

● وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب :

لم يكفه سيف بِعَيْنيه يقتل من شاء بحديه
حتى تردى مرهفا صارما فكيف أبقى بين سيفيه (١)
فلو تراه لابسا درعـه يخطر فيها بين صفيه
علمت أن السيف من طرفه أقتل من سيف بكفيه (٢)

● وكتبت واجد على منطقة جاريتها منصف الكوفية :

....

وفؤادى رق حتـــى كاد من صدرى ينسل
بعض مابى يصدع القلـــ ـب فما ظنك بالكل

● ومن قولى فيما كتبت على كأس مذهبة :

اشرب على منظر أنيق وامزج بريق الحبيب ريقى
واحلل وشاح الكعاب رفقا واحذر على خصرها الدقيق (٤)
وقل لمن لام فى التصابى إليك خلى عن الطريق

● وقف صريع الغوانى بباب محمد بن منصور ، فاستسقى ، فأمر

---

(١) تردى : ارتدى ولبس .. والمرهف الصارم : السيف القاطع .

(٢) السيف من طرفه: نظرات عينيه .

(٣) الكَعَاب : من نهد ثدياها وأصبحت ناضجة .

وصيفا له فأخرج إليه خمراً فى كأس مذهبة ، فلما نظر إليها فى راحته قال :

ذهب فى ذهب را ... ح بها غصن لجين (١)
فأتت قرة عينى ... من يدى قرة عين
قمر يحمل شمسا ... مرحبا بالقمرين
لا جرى بينى ولا ... بينهما طائرُ بَيْنِ
وبقينا ما بقينا ... أبداً متفقين
فى غَبوق وصَبوح ... لم نبغ نقداً بدين (٢)

● محمد بن إسحاق قال : حدثنى أحمد بن عبد الله قال : رأيت على مروحة مكتوبا :

الحمد لله وحده ... وللخليفة بعده
وللمحب إذا ما ... حبيبه بات عنده

● وقال : ورأيت فى مجلس سريرا مكتوبا عليه بالذهب :

أشهى وأعذب من راح ومن ورد ... إلفان قد وضعا خداً على خد (٣)
وضم أحدهما أحشاء صاحبه ... حتى كأنهما للقرب فى عقد
هذا يبوح بما يلقاه من حزن ... وذاك يظهر ما يخفى من الوجد

● وفى عصابة أخرى :

وإن يحجبوها بالنهار فمن لهم ... بأن يحجبوا بالليل عنى خيالها

لعن الله من عذر !!

● قال أبو عبيدة : ورأيت جارية على جبينها مكتوبا :

كتبت فى جبينها ... بعبير على قمر (٤)

---

(١) اللجين : الفضة .
(٢) الغَبُوق والصَّبوح : شراب المساء وشراب الصباح .
(٣) الراح : الخمر .
(٤) العبير : أخلاط من طيب وعطور .

فى سطور ثلاثـــة لعن الله من عذر
وتنـــاولت كفهـــا ثم قلت اسمعى الخبر
كل شىء سوى الخيا نة فى الحب يغتفر

لا تدعنى موسوسة

● قال الأصمعى : رأيت على باب الرشيد وصائف (١) على عصابة واحدة منهن مكتوبا :

نحن حورٌ نواعـم من أراضٍ مقدسـة
أحسن الله رزقنـا ليس فينا مُنْحِسَـة (٢)
فاتق الله يافتـى لا تـدعنـى موسـوسة

قولهم فى النُّحول

قال عمر بن أبى ربيعة (٣) القرشى : يصف نحول جسمه وشحوب لونه فى شعره الذى يقول فيه :

رأتْ رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخْصَرُ
أخا سفرٍ جواب أرضٍ تقاذفت به فلوات (٤) فهو أشعث أغبر
قليلا على ظهر المطية شخصه خلا ما نفى عنه الرداء المحبر

وفى هذا المعنى يقول :

فلما فقدت الصوت منهم وأُطفئت مصابيح شبَّت بالعشاء وأُنْؤُر (٥)

---

(١) وصائف : جمع وصيفة .
(٢) منحسة تنحس من يعاشرها ، ويقصدن أنهن مُسعدات لمن يقبل عليهن .
(٣) شاعر غَزِل مفتون بالنساء ، وصاف لهن ، محبب إليهن ، لا يمدح سواهن .
(٤) فلوات : جمع فلاة : الصحراء .
(٥) شبت : أوقدت . أنؤر : نيران جمع نار . إن شئت همزت وإن شئت لم تهمز .

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ... وروح رُعيانٌ ونـوَّم سُمَّـرُ (١)
وخفض عنى الصوت أفبلت مِشْيةَ الـ ... ـحباب وشخصى خيفة القوم أزور (٢)
فحييت إذ فاجأتها فتلهفت ... وكادت بمكتوم التحية تجهرُ (٣)
وقالت –وعضت بالبنان– فضحتنى ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر (٤)
أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولى من عدوك حضر (٥)
فو الله ما أدرى أتعجيلُ حاجةٍ ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر (٦)
فقلت لها: بل قادنى الشوق والهوى ... إليك وماعين من الناس تنظر
فيالك من ليل تقاصر طولـه ... وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويالك من ملهى هناك ومجلسٍ ... لنا لم يكدره علينا مُكَدِّرُ
يمجُ ذكى المسك منها مفلج ... رقيق الحواشى ذو غروب مؤشر (٧)
وترنـو بعينيهـا إلـى كمارنـا ... إلى ربربٍ وسط الخميلة جؤذر (٨)

---

(١) قُمَيْر : تصغير قمر ؛ لأنه كان غير تام ، ويكون ذلك أول الشهر وآخره . روَّحَ : ذهب عشية . رعيان : رعاة : جمع راع . سمَّر : جمع سامر ، وهم الجماعة يتحدثون ليلا .

(٢) الحباب : الحية . أزور : مائل منحرف . ويروى : ونفضت عنى العين مكان وخُفض عنى الصوت . والمعنى : احترست من العين وأمنتها . ومنه النفضة جمع نافض وهم الجماعة يبعثون فى الأرض لينظروا أفيها عدو أم لا ؟ .

(٣) ويروى فتولهت . بدلا من تلهفت . تحيرت وجزعت . وبمكنون بدلا من بمكتوم .

(٤) ميسور أمرك : السهل منه – والفعل يسر . أعسر : صعب والفعل عسُر بضم السين .

(٥) أريتك وأرأيتك بمعنى أخبرنى .

(٦) تتساءل عن سر مبادرته بالمجىء .

(٧) يمج : مج الشراب من فيه رمى به وبابه ردَّ ، والمراد أن لفيها شذاً ذكيا.مُفَلَّج : الفلج فى الأسنان تباعد ما بينها ، وفلج من باب طرب . والحواشى : الجوانب جمع حاشية ، والغروب جمع غرب ، وهو حد كل شىء ومنه غرب السيف واللسان . والمراد أن أسنانها رقيقة محدة . مؤشر : محزز ، ويكون ذلك فى الحداثة .

(٨) ترنو : تديم النظر مع سكون الطرف . الربرب : القطيع من البقر الوحشى ، والخميلة : الموضع يكثر فيه الشجر . والجؤذر بضم الذال وتفتح ولد البقرة الوحشية . يصف هيئة نظرها إليه فى موضع تقر فيه العيون ؛ حيث الظل والسكينة .

يرف إذا تفتر عنه كأنـــه حصى بردٍ أو أقحوانٍ منـور (١)
فلما تقضى الليل إلا أقلـــه وكادت توالى نجمـه تتغـور (٢)
أشارت بأن الحيَّ قد حان منهم هبوبٌ ولكن موعدٌ لك عزور (٣)
فلما رأت من قد تثوَّر منهم وأيقاظهم قالت: أشر كيف تأمر(٤)؟
فقلت : أُباديهم فإما أفوتُهم وإما ينال السيف ثأراً فيثأرُ (٥)
فقالت : أتحقيقا لما قال كاشح علينا وتصديقاً لما كان يؤثر (٦)
فإن كان ما لابد منه فغيره من الأمر أدنى للخفاء وأستر (٧)
أقص على أختى بدء حديثنـا ومالى من أن تعلما متأخرُ
لعلهما أن تبغيا لك مخرجاً وأن ترحبا صدراً بما كنت أحصر (٨)
فقالت لأختيها : أعينا على فتى أتى زائرا والأمر للأمر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثـــم قالتـا : أقلى عليك اللوم فالأمر أيسر
يقوم فيمشى بيننا متنكـــرا فلا سرنا يفشو ولا هو يظهـر (٩)
فكان مجنى دون من كنت أتقـى ثلاث شخوصٍ كاعبان ومعصر (١٠)
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى ألم تتق الأعداء والليل مقمر ؟

---

(١) يرف : يبرق ويتلألأ من رفيف البرق . يفتَرُّ : يضحك ضحكا حسنا . الأقحوان : البابونج . وهو نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر والجمع أقاحىّ .

(٢) التوالى : التتابع . تتغوَّر : تغور فتذهب .

(٣) عَزْوَر : موضع قرب مكة .

(٤) تثور : ثار وتحرك . الأيقاظ : جمع يقظ .

(٥) أباديهم : بادى بالعداوة : جاهر بها .

(٦) أتحقيقا : أى أتفعل هذا تحقيقا . الكاشح : الذى يضمر لك العداوة .

(٧) أدنى للخفاء : أقرب إلى الستر والتخفى .

(٨) تَرْحَبا صدرًا : يتسع صدرهما أحصر : أضيق . أى بما كان يضيق به صدرى .

(٩) سقط بيت يقول فيه الشاعر قبل هذا البيت :

فقالت الصغرى سأعطيه مِطرفى ودرعى وهذا البُرد إن كان يحذر

والمطرف بضم الميم وكسرها واحد المطارف وهى أردية (تلبس فوق الثياب) من خز مربعة لها أعلام . درعى : قميصى مذكر . وأما درع الحديد فمؤنثة والبُرْد : ثوب محطط .

(١٠) مِجَنّى : تُرسِى . ثلاث : ذكَّر اسم العدد لأنه أراد ثلاث فتيات كما بينه بالبدل . الكاعب : التى نهد ثدياها . والمعصر التى بلغت شبابها وأدركت أو التى راهقت العشرين . والفعل أعصر .

وقلن : أهذا دأبك الدهر سادراً أما تستحى؟ أما ترعوى؟أم تفكر[1]؟

● ويروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة ، اعترض الناس ، فمر به رجل من أهل الشام معه ترس قبيح ، فقال : يا أخا أهل الشام ، مجن ابن أبى ربيعة كان أحسن من مجنك هذا ! .

يريد قول عمر بن أبى ربيعة .

فكان مجنى دون ماكنت أتقى ثلاث شخوصٍ : كاعبان ومعصر

● وقال أعرابى فى النحول :

ولو أن ما أبقيت منى معلق بعود ثمامٍ[2] ما تأود عودها

● وقال آخر

إن تسألونى عن تباريح الهوى فأنا الهوى وابو الهوى وأخوه
فانظر إلى رجل أضر به الأسى لولا تقلب طرفه دفنوه[3]

● وقال مجنون بنى عامر فى النحول :

ألا إنما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب

● وللحسن بن هانى :

كما لا ينقضى الأرب كذا لا يفتر الطلب
ولم يبق الهوى إلا أقلى وهو محتسب
سوى أنى إلى الحيوا ن بالحركات أنتسب

★ ★ ★

---

(١) السادر : الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع ! ويرعوى : ينزجر ويعتبر .

(٢) الثمام كغراب : نبت . وتأود : مال وانعطف . يقول : إن الحب لم يبق منه إلا ما لو علق بعود ثمام لم يمل .

(٣) وهذا لولا تحرك عينه لظنوا أنه مات ودفنوه .

● وقال آخر وهو خالد الكاتب :

هذا محبك نضو لا حراك به
لم يبق من جسمه إلا توهمه[1]

● ومن قولنا فى هذا المعنى :

سبيل الحب أوله اغترار وآخره هموم وادكار

● ومثله من قولنا :

لم يبق من جُسمانه إلا حشاشةُ مبتئس[2]
قد رق حتى ما يُرَى بل ذاب حتى ما يحس

● وقال الحسن بن هانىء فى هذا المعنى فأربى على الأولين والآخرين:

يامن تموت عمداً فكان للعين أملى
وفى الشعوثة أربى فكان أشهى وأحلى
أردت أن تزدريك العيون هيهات كلا
يا عاقد القلب منى قليلا من القليل أقلا
يكاد لا يتجزا أقل فى اللفظ من لا

● ولأبى العتاهية :

تلاعبت بى ياعُتبَ ثم حملتنى على مركب بين المنية والسقم
ألا فى سبيل الله جسمى وقوتى ألامسعدٌ[3] حتى أنوح على جسمى؟

● وله :

لم تبق منى إلا القليل وما أحسبها تترك الذى بقيا

★ ★ ★

---

(١) النضو : المهزول من الإبل وغيرها .

(٢) الحشاشة : بقية الروح فى جسم المريض .

(٣) مُسْعِدٌ : مساعِدٌ . وعُتْب منادى مُرَخَّم (حذف آخره) وعتبة جارية كان أبو العتاهية يحبها ولم تكن تبادله حبا بحب وكانت جارية لريطة بنت أبى العباس السفاح .

فى التوديع :

ابن حميد وجارية له :

● قال سعيد بن حميد الكاتب وكان على الخراج [1] بالرقة : ودعت جارية لى تسمى « شفيعا » وأنا أضحك وهى تبكى ، وأقول لها :

إنما هى أيام قلاقل ! قالت : إن كنت تقدر أن تخلف مثل شفيع فنعم ! فلما طال بى السفر ، واتصلت بى الأيام ، كتبت إليها كتابا ، وفى أسفله :

ودعتها والدمع يقطر بيننا ... وكذاك كلُّ ملذعٍ بفراق
شغلت بتفييض [2] الدموع شمالها ... ويمينها مشغولة بعناق

قال : فكتبت إلى فى طومار [3] كبير ليس فيه إلا : بسم الله الرحمن الرحيم فى أوله ، وفى آخره ياكذاب ، وسائر الكتاب أبيض .

قال : فوجهت الكتاب إلى ذى الرياستين : الفضل بن سهل وكتبت إليها كتابا على نحو ما كتبت ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم فى أوله ، وفى آخره أقول :

فودعتها يوم التفرق ضاحكا ... إليها ولم أعلم بأن لا تلاقيا
فلو كنت أدرى أنه آخر اللِّقا ... بكيت وأبكيتُ الحبيب المصافيا

قال : فكتبت إلى كتابا آخر ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم فى أوله ، وفى آخره :

---

(١) الخراج : ما يحصل من غلة الأرض وقد أطلق على الجزية ، وعامل الخراج من يتولى تحصيله .

(٢) تفييض الدموع : مسحها .

(٣) طومار : قال فى القاموس : الطامور والطومار الصحيفة جمعه طوامير .

أعيذك بالله أن يكون ذلك ! فوجهته إلى (ذى الرياستين الفضل بن سهل)، فأشخصنى إلى بغداد ، وصيرنى إلى ديوان الضياع .

ابن يحيى وجاريتان

● محمد بن يزيد الربعى عن الزبير عن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل قال : إنه لما نفاه المتوكل إلى جزيرة أقريطش ؛ فطال مقامه بها ، تمتع بجارية رائعة الجمال ، بارعة الكمال ، فأنسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتدبيرها ، وكان قبل ذلك متيما [1] بجارية خلفها بالعراق فسلا [2] عنها ؛ فبينما هو مع الإقريطشية فى سرور وحبور يحلف لها ألا يفارق البلد ما عاش ، إذ قدم إليه كتاب جاريته من العراق وفيه مكتوب :

كيف بعدى لاذقتم النوم أنتم ... خبرونى مذ بنت عنكم وبنتم
بمراض الجفون من خد العـ ... ـين وورد الخدود بعدى فتنتم
يا أخلاى إن قلبى وإن بـ ... ـان من الشوق عندكم حيث كنتم
فإذا ما أبى الإله اجتماعاً ... فالمنايا على وحدى وعشتم

● أخذت هذا المعنى من قول حاتم :

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا ... بموتٍ فكن أنت الذى تتأخر

فلم يباشر لذةً بعد كتابتها ، حتى رضى عنه المتوكل وصرفه إلى أحسن حالاته .

● المعتز وجارية لابن رجاء :

الزبيرى قال : حدثنى ابن رجاء الكاتب قال : أخذ منى الخليفة المعتز جارية كنت أحبها وتحبنى فشربا معا فى بعض الليالى فسكر قبلها ، وبقيت وحدها ، ولم تبرح من المجلس هيبة ، فذكرت ما كنا فيه من أيامنا ، فأخذت

---

(١) المتيم : يقال تامته المرأة أو العشق والحب تيما وتيمته تتيما عبَّدته وذللته ، فهو متيم .
(٢) سلا : نسى .

العود فغنت عليه صوتا حزينا من قلب قريح [1] وهى تقول :

لاكان يوم الفراق يوما ... لم يبق للمقلتين نوما
شتت منى ومنك شملا ... فسر قوما وساء قوما
ياقوم من لى بوجد قلب ... يسومنى فى العذاب سوما
ما لامنى الناس فيه إلا ... بكيت كيما أُزاد لوما

فلما فرغت من صوتها ، رفع المعتز إليها رأسه والدموع تجرى كالفرند انقطع سلكه ، فسألها عن الخبر وحلف لها أن يبلغها أملها ، فأعلمته القصة ، فردها إلى ، وأحسن إليها ، وألحقنى فى ندمائه وخاصته .

● أبو أحمد وجارية له :

وكان لأبى أحمد صاحب حرب المعتمد جارية فكتبت إليه وهو مقيم على العلوى بالبصرة تقول :

لنا عبرات بعدكم تبعث الأسى ... وأنفاس حزن جمة وزفير
ألا ليت شعرى بعدنا هل بكيتم ... فأما بكائى بعدكم فكثير

قال أبو أحمد : فلم يكن لى هم بعدها حتى قفلت من غزاتى ! [2] .

● مروان وجارية له :

وكتب مروان بن محمد وهو منهزم نحو مصر إلى جارية له خلفها بالرملة :

ومازال يدعونى إلى الصد ماأرى ... فأنأى[3] ويثنينى الذى لك فى صدرى
وكان عزيزا أن بينى وبينها ... حجابا فقد أمسيت منك على عشر
وأنكاهما والله للقلب فاعلمى ... إذا ازددت مثليها فصرت على شهر

---

(١) قريح : جريح ، وفى القرآن : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . (٢) قفلت من غزاتى : رجعت من الغزو .
(٣) أنأى : أبعد ، وفى القرآن : ﴿ أعرض ونأى بجانبه ﴾ [الإسراء : ٨٣] .

وأعظم من هذين والله أننى أخاف بأن لا نلتقى آخر الدهر
سأبكيك لا مستبقيا فيض عبرة ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

● ابن بكار ورجل بالثغر :

الزبير بن بكار قال : رأيت رجلا بالثغر ، وعليه ذلة واستكانة وخضوع ، وكان يكثر التنفس ، ويخفى الشكوى ، وحركات الحب لا تخفى ، فسألته وقد خلوت به فقال وقد تحدر دمعه :

أنا فى أمرى رشاد بين غزو وجهاد
بدنى يغزو الأعادى والهوى يغزو فؤادى
يا عليما بالعباد رُدَّ إلفى [1] ورقادى

● وقال أعرابى يصف البين [2] :

أدمت أناملها عضا على البين كما انثنت فرأتنى دامع العين
وودعتنى إيماءً وما نطقت إلا بسبابة منها وعينين
وجدى كوجدك بل أضعافه فإذا عنى تواريت قاب الرمح واحينى ! [3]
وإن سمعتِ بموتى فاطلبى بدمى هواك والبين واستعدى على البين [4]

● وقال آخر :

مالت تودعنى والدمع يغلبها كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهى باكية : ياليت معرفتى إياك لم تكن !

● وقال آخر :

إذا انفتحت قيود البين عنى وقيل أتيح للنائى سراح

---

(١) الإلف : الحبيب ، فهو يطلب من الله أن يعيد إليه ما يمنحه هدوء النفس فيستريح وتنام عيناه بعد سهر الليالى يشكو الفراق .

(٢) البين : الفراق .

(٣) إذا غبت عنى مقدار الرمح فقد حان أجلى والحين الهلاك وفى القرآن : ﴿ قاب قوسين ﴾ .

(٤) فإذا مت فأنا شهيد الهوى والبين وعليك أن تستعدى عليهما وتطلبى الثأر منهما .

أبت حلقاته إلا انقفالا ويأبى الله والقدر المتاح
ومن لى بالبقاء وكل يوم لِسَهْم البين فى كبدى جراح

● وقال محمد بن أبى أمية الكاتب :

يا غريباً يبكى لكل غريب لم يذق قبلها فراق حبيب
عزه البين فاستراح إلى الدمـ ـع وفى الدمع راحة للقلوب
ختلته [1] حوادث الدهر حتى أقصدته منها بسهم مصيب
أى يوم أراك فيه كما كنـ ـت قريبا فأشتكى من قريب

● وقال أبو الطيامير :

أقول له يوم ودعته وكل يوم بعبرته مبلس [2]
لئن رجعت عنك أجسامنا لقد سافرت معك الأنفس

● وقال أبو العتاهية :

أبيت مسهدا قلقا وسادى [3] أروح بالدموع عن الفؤاد
فراقك كان آخر عهد نومى وأول عهد عينى بالسهاد

فلم أر مثل ما سلبته نفسى وما رجعت به من سوء زاد

● وقال محمد بن يزيد التسترى :

رفعت جانبا إليك من الكلّـ ـة [1] قابلته طرفا كحيلا
نظرت نظرة الصبابة لا تمـ ـلك للبين دمعها أن يحولا
ثم ولت وقد تغير ذاك الصـ ـبح من خدها فعاد أصيلا [2]

---

(١) ختلته : خدعته .
(٢) مبلس : البلس محركة : من لا خير عنده . أو عنده إبلاس وشر .
(٣) الوساد : جمع وسادة ، وقلقا وسادهُ : كناية عن السهر والأرق .
(٤) الكِلّة : الستارة ، وكل ما يوضع على السرير فيحجب النوام .
(٥) الأصيل : آخر النهار ، ويقصد أنه تحول من الإشراق إلى الصفرة !

● وقال يزيد بن عثمان :

دمعة كاللؤلؤ الرطـــــب على الخد الأسيل
وجفون تنفث الســـحر من الطرف الكحيل

إنما يفتضح العاشـــــق فى يوم الرحيل

● وقال على بن الجهم :

يا وحشتا للغريب فى البلـد النازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ومانتفعا
يقول فى نأيه (١) وغربته عدل من الله كل ما صنعا

● وقال آخر :

بانوا (٢) وأضحى الجسم من بعدهم ما تبصر العين له فيّـا
يا أسـفى منهم ومن قولـهم ما ضـرك الفقـد لنا شيا
بـأى وجـه أتلقـاهـم إن وجدونى بعدهـم حيـا ؟!

● وقال آخر :

أترحل عن حبيبك ثم تبكى عليه فمن دعاك إلى الفراق ؟

● وقال هدبة العذرى :

ألا ليت الرياح مسـخرات بحاجتنا تباكـر أو تئوب (٣)
فنخبرنا الشمـال إذا أتتنـا وتخبر أهلنا عنا الجنـوب
عسى الكرب الذى أمسـيت فيه يكون وراءه فـرج قـريب
فيأمن خائف ويفك عان (٤) ويأتى أهله النائـى الغريـب

---

(١) النأى : البعد والفراق .
(٢) بانوا : بعدوا . فيًّا : فيئا أى ظلًا وذلك كناية عن النحول .
(٣) تباكر : تأتى فى الصباح الباكر ، وتئوب : تعود ومنه الإياب .
(٤) العانى : الأسير .

● وقال آخر :

لا بارك الله فى الفراق ولا ... بارك فى الهجر ما أمرهما
لو ذبح الهجر والفراق كما ... يذبح ظبى لما رحمتهما
شربت كأس الفراق مترعةً [1] ... فطار عن مقلتى نومهما
يا سيدى والذى أؤمله ... ناشدتك الله أن تذوقهما

● وقال حبيب الطائى :

الموت عندى والفرا ... ق كلاهما مالا يطاق
يتعاونان على النفوس ... فذا الحمام وذا السياق [2]
لو لم يكن هذا كذا ... ما قيل موتٌ أو فراق

● وقال آخر :

شتان ماقُبلةُ التلاق [3] ... وقُبلة ساعة الفراق
هذى حياة وتلك موت ... بينهما راحة العناق

● وقال سعيد بن حميد :

موقف البين مأتم العاشقينا ... لاترى العين فيه إلا حزينا
إن فى البين فرحتين : فأما ... فرحتى بالوداع للظاعنينا
فاعتناق لمن أُحبُّ وتقبيـ ... ـل ولمس بحضرة الكاشحينا
ثم لى فرحة إذا قدم النا ... س لتسليمهم على القادمينا

وقال أعرابى :

ليل الشجى على الخلى قصير ... وبَلا المحب على المحب يسير [4]
بان الذين أُحبهمُ فتحملوا ... وفراق من تهوى عليك عسير

---

(١) مترعة : مليئة .
(٢) الحِمام : بكسر الحاء الموت . والفراق يسوقنا إليه فهو موت معنوى .
(٣) التلاق : التلاق .
(٤) الشَّجىّ والخَلىّ : الشَّجىّ : المشغول ، والخلىّ : الخالى .

فلأبعثن نياحة لفراقهم ... فيها تُلَطَّم أوجهٌ وصُدور
ولألبسن مدارعا مسودة ... لبس الثواكل إذ دهاك مسير
ولأذكرنك بعد موتى خاليا ... فى القبر عندى منكر ونكير
ولأطلبنك فى القيامة جاهدا ... بين الخلائق والعباد نشور
فبجنةٍ إن صرت صرت بجنة ... ولئن حواك سعيرها فسعير
والمستهام بكل ذاك جدير ... والذنب يغفر والإله شكور

● ومن قولنا فى البين :

هيج البين دواعى سقمى ... كسا جسمى ثوب الألم
أيها البين أقلنى مرة ... فإذا عدت فقد حل دمى (١)
ياخلى الروع نم فى غبطةٍ ... إن من فارقته لم ينم !
ولقد هاج لقلبى سقما ... ذكر من لوشاء داوى سقمى

● ومن قولنا فى المعنى :

ودعتنى بزفرة واعتناق ... ثم نادت: متى يكون التلاق ؟
وتصدت فأشرق الصبح منها ... بين تلك الجيوب والأطواق (٢)
ياسقيم الجفون من غير سقم ... بين عينيك مصرعُ العشاق
إن يوم الفراق أعظم يوم ... ليتنى مت قبل يوم الفراق

● ومن قولنا فيه :

فررت من اللقاءَ إلى الفراق ... فحسبى مالقيت وما ألاقى
سقانى البين كأس الموت صرفا ... وما ظنى أموت بكف ساقى
فيا برد اللقاء إلى فؤادى ... أجرنى اليوم من حر الفراق

---

(١) أقلنى : من عثرتى .. خذ بيدى .. اجمع بينى وبينها .. ولك أن تفعل بى ما تشاء .. لو فارقتها

(٢) الجيوبُ والأطواق . جمع جيب وهوْ الفتحة فى أعلى الثوب والطوق معروف .

● وقال مجنون بنى عامر :

وإنى لمفن دمع عينى من البكا ... حذاراً لأمر لم يكن وهو كائن
وقالوا : غدا أو بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى ... بكفى إلا أن ما حان حائن (١)

● وقال أبو هشام الباهلى :

خليلى غدا لا شك فيه مودع ... فو الله ما أدرى غدا كيف أصنع
فواحزنا إن لم أودعه غدوة ... ويأسفا أن كنت فيمن يودع
فإن لم أودعه غدا مت بعده ... سريعا وإن ودعت فالموت أسرع
أنا اليوم أبكيه فكيف به غدا ... أنا فى غد والله أبكى وأجزع
لقد سخنت عينى وجلت مصيبتى ... سريعا وإن ودعت فالموت أسرع
فيايوم لا أدبرت هل لك محبس ؟ ... وياغدُ لا أقبلت ! هل لك مدفع ؟

● وقال بشار بن برد :

نبت عينى عن التغميض (٢) حتى ... كأن جفونها عنها قصارُ
أقول وليلتى تزداد طولا ... أما لليل بعدكم نهار ؟!

● وقال المعتصم لما دخل مصر وذكر جارية له :

غريب فى قرى مصر ... يقاسى الهم والسقما
لليلك كان بالميد ... ان أقصر منه بالفرما

● وقال آخر :

وداعك مثل وداع الربيع ... وفقدك مثل افتقاد الديم (٣)
عليك سلام فكم من ندى ... فقدناه منك وكم من كرم

---

(١) حان أجله : حل .. وحائن : واقع .

(٢) نبت : بعدت ، فلا يغمض لها جفن وفى الشطر الثانى حسن تعليا أن جفونها عنها قصار ! .

(٣) الدِّيَم : جمع دِيمة السحابة الممطرة .